

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

إلى اليوم، فآدم الجد الأول ظن أنه يستطيع التأله بمعزل عن الله عبر أكله من شجرة معرفة الخير والشر، رغم وصية الله المعطاة له، كذلك يعتبر عدد كبير من الناس أنهم يستطيعون الاتكال على أنفسهم رافضين الاعتماد على الله.

«فقال أصغرهما لأبيه يا أبي أعطني القسيم الذي يُصيّبني من المال. فقسّم لهما معيشته» (لو ١٥: ١٢). نرى في

هذه الآية كيف يتوجّه بعض الناس إلى الله دون أي احترام أو خشية أو تقوى، فيسألون ما يحق لهم وكان لله ديناً تجاه البشر، عوض أن يعي الإنسان أنه

هو الذي يدين إلى الله بكل حياته وكل ما يملك.

بعد أن أخذ الابن الأصغر حصته سافر إلى بلد بعيد فبدد ماله هناك في عيشة إسراف. في هذا إشارة إلى أن من أراد أن يعيش حياة الخطيئة يبتعد ويتغرب عن الله ناسياً أن النهر الذي ينفصل عن النبع يجف. لذلك فقد الابن كل ما كان يملكه. حينئذ التجأ إلى أحد رجال ذلك البلد، بلد الخطيئة الذي رجاله هم شياطين، هذا جعله يعيش عيشة الخنازير أي عيشة المتمرغين في الشهوات والخطايا. من هنا نفهم أن كل من يتغرب عن الله وعن نعمته

أحد الابن الشاطر

في سبيل الاستعداد للصوم الكبير نقرأ في الأحد الثاني من فترة التهيئة للصوم المولفة من أربعة آحاد النص الإنجيلي الذي يتحدث عن الابن الشاطر وهو أحد الأمثال التعليمية التي أعطانا إياها الرب يسوع. أهمية الأمثال تكمن في بساطتها مما يجعلها مفهومة من الجميع، وفي أنها تنطبق على كل الناس في كل الأمانة.

كيف نفهم مثل الابن الشاطر وما هو ارتباطه بالصوم وبالتهيئة له؟

ما أراده الرب يسوع من خلال مثل الابن الشاطر هو إظهار طبيعة العلاقة بين الله والبشر. فالابن يرمزان إلى البشر المنقسمين على بعضهم، وتصرفهما يعكس طريقة تعاطي البشر مع بعضهم ومع الله المتمثل بالأب الحنون في هذا المثل. الابن الضال هو الابن الأصغر وفي ذلك إشارة إلى فتوته وعدم وعيه الكامل، لكن مشكلته الأساسية هي في اعتباره أنه يستطيع أن ينفصل عن أبيه، مصدر حياته، أي عن الله، وأن يعيش بهناء بعيداً عنه. هذا ما يفعله العديد من البشر منذ أيام آدم

الرسالة

(١ كورنثوس ١٢: ٦-٢٠)

يا إخوة كل شيء مباح لي ولكن ليس كل شيء يوافق* كل شيء مباح لي ولكن لا يتسلط علي شيء* إن الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة وسيبب الله هذا وتلك. أما الجسد فليس للزنى بل للرب والرب للجسد* والله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضاً بقوة* أما تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح. أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية. حاشى* أما تعلمون أن من اقترب بزانية يصير معها جسداً واحداً. لأنه قد قيل يصيران كلاهما جسداً واحداً* أما الذي يقترب بالرب فيكون معه روحاً واحداً* اهربوا من الزنى. فإن كل خطيئة يفعلها الإنسان هي في خارج الجسد. أما الزاني فإنه يخطئ إلى جسده* أم أستم تعلمون أن أجسادكم هي هيكل الروح القدس الذي فيكم الذي نلتموه من الله وأنكم لستم

العدد ٢٠٠٧/٥
الأحد ٤ شباط
أحد الإبن الشاطر
تذكار أبينا البار إيسيدروس الفرسي
اللحن الأول
إنجيل السحر الأول

لأنفسكم* لأنكم قد
اشتريتهم بثمن فمجدوا
الله في أجسادكم وفي
أرواحكم التي هي لله.

الإنجيل

(لوقا ١٥: ١١-٣٢)

قال الربُّ هذا المثل:
إنسان كان له إبنان*
فقال أصغرهما لأبيه يا
أبت أعطني النصيب الذي
يخصني من المال. فقسم
بينهما معيشته* وبعد أيام
غير كثيرة جمع الإبنُ
الأصغر كلَّ شيء له وسافرَ
إلى بلد بعيد وبذر ماله
هناك عائشاً في الخلاعة*
فلما أنفق كلَّ شيء له
حدثت في ذلك البلدِ
مجاعة شديدة فأخذ في
العوز* فذهب وانصوى
إلى واحد من أهل ذلك
البلدِ فأرسله إلى حقوله
يرعى خنازير* وكان
يشتهي أن يملأ بطنه من
الخرنوب الذي كانت
الخنازير تأكله فلم يعطه
أحد* فرجع إلى نفسه
وقال كم لأبي من أجراء
يفضّل عنهم الخبز وأنا
أهلك جوعاً* أقوم وأمضي
إلى أبي وأقول له يا أبت
قد أخطأت إلى السماء
وأمامك. ولست مستحقاً
بعد أن أدعى لك ابناً*
فاجعني كأحد أجرائك*
فقام وجاء إلى أبيه.
وفيما هو بعد غير بعيد
راه أبوه فتحنن عليه

يُضطر رويداً رويداً أن يسلم نفسه إلى
الشياطين.

بعد أن اختبر الابن الأصغر
عيشة الخنازير «رجع إلى نفسه»
كما يقول الرب يسوع وتذكر عيشته
السابقة بجوار أبيه، فاتضع واعترف
بخطيئته وقرر أن يعود إلى أبيه
ليعيش خادماً بقربه عوض أن
يعيش عيشة الخنازير بعيداً عنه،
لأنه اكتشف أن الأجير عند الله يشبع
ويحصل على نِعَم أكثر من أي إنسان
آخر منفصل عنه. هكذا تاب الابن
الضال وانطلق عائداً إلى أبيه.

«فقام وجاء إلى أبيه. وإذا كان لم
يزل بعيداً راه أبوه فتحنن وركض
ووقع على عنقه وقبله» (لو ١٥: ٢٠).
مما لا شك فيه أن الأب السماوي
محب أكثر من الآباء البشريين كما
يظهر في هذه الآية وفي كل هذا
المثل. في البدء قسم معيشته كلها
على إبنيه بطلب من ابنه الأصغر دون
أن يناقشه ودون أن يبقي شيئاً لذاته،
والآن نراه ينتظر عودة ابنه الضال
الذي صرف أموال أبيه في بلد
الخطيئة، وما أن راه حتى ركض هو
لاستقباله ووقع على عنقه وقبله،
وإزاء تواضع ابنه عاد ورفعته إلى
رتبة البنوة التي كان قد سقط منها
بإرادته، ولم يعاتبه البتة حتى أنه لم
يقبل له أي كلمة بل ضمّه وقبله.
فالمحبة لا تسأل ولا تعاتب ولا
تحتاج حتى للكلام. هذه المعاملة
الحسنة وهذه المحبة العظيمة تنتظر
كل خاطئ يتوب ويعود إلى الله
معتزفاً بخطيئته.

محبة الله العظمى ليست امتيازاً
للتائبين إليه فقط، بل هي موجهة
لكل البشر، القريبين منه والبعيدين.
الذين لم يتركوا الله يتمثلون هنا
بالابن الأكبر الذي بقي مع أبيه
يخدمه ويحفظ وصاياه. هذا بدل أن
يفرح بعودة أخيه الضال، حزن
وغضب بسبب أنانيته وراح يقارن

نفسه بأخيه: «فأجاب وقال لأبيه ها
أنا أخدمك سنين هذا عدتها وقط لم
أتجاوز وصيتك وجدياً لم تعطني قط
لأفرح مع أصدقائي. ولكن لما جاء
ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع
الزواني ذبحت له العجل المسمن» (لو
١٥: ٢٩-٣٠). إن تصرف الابن الأكبر
يشبه إلى حد ما تصرف أخيه، فنراه
هو أيضاً يفصل نفسه عن أبيه وأخيه
حين رفض الدخول إلى البيت ليفرح
معهما، بل راح يعاتب أباه على
المحبة التي أظهرها لأخيه، وكأنه
يريد المحبة فقط لنفسه فقط، وهذا ما
يفعله كثيرون منا حين يدينون
إخوتهم؛ لذلك قال الرب: «لا تدينوا
لكي لا تدانوا» (متى ٧: ١).

في الواقع أساء الابن الأكبر تقدير
محبة أبيه له. فالله عادل ويحب كل
الناس فكم بالأحرى الذين يحبونه
ولا يتركونه. لذلك عندما رفض الابن
الأكبر الدخول خرج أبوه للقاءه
وأوضح له كيف يجب أن تكون
المحبة، لا بل أكثر من ذلك جعله
مساوياً له: فقال له يا بني أنت معي
في كل حين وكل ما لي فهو لك» (لو
١٥: ٣١).

إن موقع هذا المثل في آحاد
التهيئة للصوم بعد أحد الفريسي
والعشار يحوي تعليماً مهماً. فبعد أن
تعلمنا أهمية التواضع في الأحد
الأول، ندرك الآن مفاعيل التوبة
والرجوع إلى الله. تريد الكنيسة أن
تعلمنا من خلال هذا المثل أنه مهما
أخطأ الإنسان وابتعد عن الله مصدر
حياته، لا يزال طريق التوبة مفتوحاً
أمامه والله ينتظر عودته بكل محبة
ويجب ألا يتملكه اليأس من خلاصه.
لذلك يجب علينا أن نجعل الصوم
الكبير ميداناً للتوبة وللرجوع إلى
الله من خلال اعترافنا بخطايانا
وممارسة الصوم والصلاة. كذلك
نتعلم من الابن الشاطر أن الجوع
الحقيقي هو في البعد عن الله، أما من

وأُسرع وألقى بنفسه على عُنُقِهِ وَقَبِلَهُ فَقَالَ لَهُ الْإِبْنُ يَا أَبَتِ قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَأَمَامَكَ وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدَ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا فَقَالَ الْآبُ لِعَبِيدِهِ هَاتُوا الْحُلَّةَ الْأُولَى وَالْبِسُوهُ واجعلوا خاتماً في يده وجذاءً في رجليه* واتوا بالعجل المسمن واذبحوه فناولوا ونفّرح* لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد. فطفقوا يفرحون* وكان ابنه الأكبر في الحقل. فلما أتى وقرب من البيت سمع أصوات الغناء والرقص* فدعا أحد العلمان وسأله ما هذا* فقال له قد قديم أخوك فذبح أبوك العجل المسمن لأنه لقيه سالماً* فغضب ولم يريد أن يدخل. فخرج أبوه وطفق يتوسل إليه* فأجاب وقال لأبيه كم لي من السنين أخدمك ولم أتعد لك وصية قط وأنت لم تعطني قط جدياً لأفرح مع أصدقائي* ولما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن* فقال له يا ابني أنت معي في كل حين وكل ما هو لي فهو لك* ولكن كان ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد.

يلتصق بالله فهو يقوته ولا يعود الطعام هو مشتهاه بل اللقاء معه. ختاماً نسأل الله إذ نحن مقبلون على الصوم، أن يرشد البعيدين عنه إلى طريق التوبة والقريبين منه إلى المحبة وعدم الأنانية، لكي نوهل جميعاً للمشاركة بالفصح المنتظر ونكون متحدين به لأنه هو نبع الخيرات.

قنداق الابن الشاطر

القنداق، بشكل عام، هو أحد أنماط الشعر أو التراتيل الكنسية القديمة الموزونة (القرن الثالث - الرابع). يتألف القنداق عادة من مقدمة وعدد من المقاطع (١٢ أو ٢٤) تنتهي جميعها بلازمة واحدة، ويتحدث فيها الكاتب عن فحوى أحد الأعياد السيديّة أو أحد أعياد القديسين، وقد كان يتلوها المرمن عادة في صلاة سحر العيد. اليوم لم يبق من القنداق في كتبنا الليتورجية سوى المقدمة. أوضح نموذج لنا عن القنداق كاملاً هو الأبيات التي نتلوها في خدمة مديح العذراء.

قنداق الابن الشاطر للقديس رومانوس المرمن (قرن ٦) الذي نتحدث عنه اليوم، لا نجده في كتبنا الليتورجية إنما في كتاب يجمع مؤلفاته. إلا أننا نورد ترجمة لمقاطع منه من اليونانية نظراً للفائدة الروحية التي يحويها.

«لقد جاريت الابن الشاطر بأفعالي السخيفة، ومثله أرتمي عند قدميك يا رب طالباً الغفران، فلا تعرض عني، يا سيد الدهور وربّها.»
«أهلني، أنت الذي لا يموت، لمائدتك السرية، أنا الذي هلكت بالخلاعة، وامنحني من جديد حلة النعمة الأولى التي لوثتها بالأهواء، برأفائك التي لا تدرك، يا سيد الدهور وربّها.»

بهذه العبارات يبدأ القديس

رومانوس المرمن قنداقه عن الابن الشاطر داعياً المؤمنين إلى التوبة كالابن الشاطر وإلى المشاركة في المائدة السرية التي يعدها الأب السماوي.

من خلال المثل الوارد في الإنجيل ينقلنا القديس رومانوس في رحلة ليوصلنا إلى رحمة الأب السماوي غير المحدودة ونتأهل للمشاركة في فرح الأب وفي مائدته السرية.

لقد تعرى الابن الشاطر من النعمة عندما بذّر كل ما له، فعاد إلى أبيه صارخاً بنحيب: «يا أبتاه، لقد أخطأت». «أما الذي يرى كل شيء فقد أسرع لملاقاته وقبل عنقه، وبما أنه إله التائبين فقد رحم ابنه الذي سقط، بما أنه رحيم وهو سيد الدهور وربّها» (البيت الثالث).

عندما رأى مخلص الكل ثياب ابنه المتسخة تحزن عليه وأمر خدامه بإعطائه الحلة الأولى التي تنسجها بركة المعمودية وتصنعها نعمة الروح القدس (البيت الرابع). ولأنه لا يستطيع أن يرى «صورته الإلهية» متسخة على هذا الشكل أمر عبده بأن يجمّلوا كل عضو من أعضاء ابنه لأنها عزيزة على قلبه. فالذي يسرع إليه بالتوبة ينال المغفرة ويستحق كل عناية وينال ثوب النعمة (البيت الخامس). الخاتم الذي وضعه الأب في يد ابنه هو علامة عربون الثالوث غير المنقسم ويدل على أنه ابن ملك الكل، فتخشاه الأعداء والأبالسة ولا تقترب منه أبداً (البيت السادس). أما الحذاء فيحمي رجليه من الحية ومن فخ الشيرير، ويسحق به التنين ويتمشى به في الفردوس الذي غرسه سيد الدهور وربّها (البيت السابع).

بعد ذلك يأمر عبده بأن يذبحوا العجل المسمن، الذي هو ابن العذراء؛ أن يذبحوا معطي الحياة الذي قدم ذبيحة ولكن الموت لم يمسه، بل أعطى الحياة للذين في الجحيم

تأمل

«إن الأَطعمة للجوف والجوف للأطعمة وسيبيد الله هذا وتلك. أما الجسد فليس للزنى بل للرب والرب للجسد» (١كور ٦: ١٣).

الأطعمة لها علاقة بالشراهة، وكذلك الشراهة متصلة بالأطعمة. لذلك لا تستطيع الشراهة أن توصلنا إلى المسيح بل تجذبنا إلى الأطعمة. إنها شهوة حيوانية رهيبه تجعل من الناس عبيداً يخدمونها.

لا يتكلم الرسول هنا فقط عن الطعام والجسد بل يدين شهوة الشراهة واستخدام الأطعمة بدون حساب. يؤكد هذا أيضاً قوله «وسيبيد الله هذا وتلك» أي لن يبيد الله البطن بل الشهوة المفرطة، ولن يبيد الأطعمة بل الحياة المتنعمة. هنا لا يلغي وظيفة البطن والأطعمة بل يربطها بقانون ينظم استخدامها العادل. «فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما» (١ تيمو ٦: ٨). يبعد هكذا الشهوة ويفتح باب الصلاة... يقول البعض إن كلامه هذا يأتي بمثابة نبوة تكشف ما سيؤول إليه الأمر في المستقبل حين لا يأكل الناس ولا يشربون. لذا طالما أن هذه الوظيفة سوف تلقى نهاية لها، فالأحرى بالمؤمنين أن يبتعدوا عن الإفراط فيها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

(البيت الثامن). هذا العجل الطاهر البريء من الدنس يُعطى مأكلاً للذين هم أهل لمائدة الآب. ويُعطى الدم والماء السائلين من جنبه مشرباً لكل المؤمنين (البيت التاسع).

وهكذا يفرح الجميع ويقدمون التسبيح لله، ويفتح الآب الإحتفال بالتسبيح قائلاً للمدعوين: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب»، والرسول بولس يعلن أن فصحنا يسوع المسيح قد ذبح اليوم (البيت العاشر). أما الملائكة الذين يخدمون المائدة السرية فيسبحون بدورهم قائلين: «قدوس أنت أيها الآب الذي ارتضيت الآن أن يُذبح من أجل البشر العجل البريء من الدنس، قدوس هو ابنك أيضاً الذي قبل باختياره أن يقدم ذبيحة كعجل طاهر يقُدس الذين قبلوا المعمودية، قدوس هو الروح أيضاً الذي يعطيه للمؤمنين سيد الدهور وربها» (البيت الحادي عشر). إلا أن الابن البكر كان له موقف مخالف، وعندما عرف من الخادم ما جرى غضب ولم يرد أن يدخل ويشارك في العشاء. وعندما خرج إليه الآب ورجاه للدخول لم يُدعِ أول الأمر، بل بالأحرى لام والده على تصرفه قائلاً: «عندما رأيت ابنك هذا الذي نهش غناك مع الزواني للحال ذبحت العجل. كان الأجر، برأيي، أن توبخه على الأقل بالكلام وتؤنبه، وتدبر له وجهك. لكنك قبلته للوقت وأشفقت عليه وشرعت بتقبيله، ثم ألبسته ثوباً وكرمت إصبعه بخاتم ووضعت في رجليه حذاء وهيات له عشاءً احتفالياً ودعوت كل أصدقائك» (الأبيات ١٢-١٣-١٧).

أما الآب فلام ابنه البكر على تصرفه هذا ودعاه إلى المشاركة في فرحته لأن أخاه كان ضالاً فوجد وكان ميتاً فعاش. الابن البكر لم ينفصل عن الكنيسة ولكنه ظل بقرب أبيه، أما الابن الأصغر فعاد مكسواً

بالعار، عرياناً وصرخ «ارحمني». فما كان من الآب إلا أن يرحمه، وكيف لا يرحم خليقته، وهو يفرح على الدوام بحبه للبشر (البيتان ١٨-١٩). الآب هو خالقهما الوحيد وأبوهما الصالح والمحب البشر والرحيم، وهو يكرم الابن الصالح لأنه أحبه على الدوام وخدمه بلا تردد، ويرحم الابن الخاطيء لأنه تاب (البيت ٢٠).

«... رحمتك للذين تخلصهم لا توصف ولا يُنطق بها أيها المحب البشر، فإنك تعتنى على الدوام بالصالحين وتدعو إليك الخطأة. لقد حفظت الصالح وخلصت الآخر، يا سيد الدهور وربها» (البيت ١٤). «أيها الابن وكلمة الله، يا خالق الكل، إننا نبتهل إليك نحن عبيدك غير المستحقين، طالبين أن ترحم جميع الذين يدعونك، وتشفق على الخطأة كما أشفقت على الابن الشاطر، وتخلص برحمتك الذين يهرعون إليك بالتوبة، أيها الملك صارخين: «لقد أخطأنا». أعطنا دموعاً كالزانية واغفر خطايانا. وارحم الجميع كما رحمت العشار، بتضرعات والدة الإله، واجعلنا مشاركين عشاءك مثل الابن الشاطر، يا سيد الدهور وربها» (البيت ٢٢).

سبت الأموات

في السبت الذي يسبق أحد مرفع اللحم رتبت الكنيسة المقدسة أن تقام ذكرى للأموات الراقدين على رجاء القيامة. لذلك تقام القدايس الإلهية في كافة كنائس الأبرشية صباح السبت ١٠ شباط ٢٠٠٧.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb